الجنـــاس في نهج البلاغة دراسة في وظائفه الدلالية والجمالية

المدرس المساعد
خالد كاظم حميدي

الأستاذ الدكتور
مشكور كاظم العوادي

كليـــــة الشيـــخ الطوســـي

المقدمة:

إنّ نهج البلاغة من أقدم النصوص العربية النثرية التي جاءت معبرة عن رؤية شاملة وعميقة للعالم وعلاقاته، بما فيها علاقة الإنسان بربه وبالآخرين، وقد عُدّ هذا الكتاب من الناحية الفنية من النصوص العبقرية التي جمعت عمق المضمون وجمال الشكل في كلّ ما ورد فيه من أنواع نثرية: خطبا ورسائل وحكما.

ولعل هذه المزية المهمة جعلت منه ميدانا خصبا للدراسات الأكاديمية اللغوية منها والبلاغية. وقد تناولت في هذا البحث موضوعا بلاغيا أسلوبيا، وهو(الجناس)، لما له من أهمية في بناء شكل النص الأدبي والكشف عن دلالته الايحائية المنبثقة من البنى الموسيقية التي يحققها، وتبيان ما له من وظائف دلالية وجمالية التي يعتمد تأويلها على ثقافة المتلقي وخبرته الجمالية.

وأخيرا نود أن نشير إلى أننا لا ندعي بلوغ الكمال في هذا البحث وحسبنا أننا اجتهدنا وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه ننيب.

حدّ البلاغيون الجناس بأن تتفق اللفظتان في اللفظ مع الاختلاف في المعنى[١]، ويظهر من هذا التعريف أن الجناس ذو طبيعة تكرارية منشؤها معاودة الألفاظ مع الاختلاف في المعنى، وبذلك يكتسب الجناس شرعية الانتماء إلى هذا القسم من البديع، إذ إنّ جوهر الجناس[٢] يقوم على الاشتراك اللفظي، فالتجنيس إذن ضرب من ضروب التكرار الذي يفيد في تقوية نغمية جرس

الألفاظ.

فهو يمثل ثنائية صوتية تتوافق فيها الصورة بين الكلمتين[٣]، وقد يصل التطابق الجناسي إلى حدّ الاكتمال في اللفظ والوزن والحركة[٤]، حين تتراجع بعض أقسامه بافتقادها لبعض الأصوات أو باختلاف بعض الصويتات[٥] أو النقط، أو تبدل في أصل الاشتقاق والقلب وغيره، مما يجعل الجناس أقساما عدة[٦] ، تختلف في طبيعتها التكوينية وتشترك بصفة التكرار الكلي أو الجزئي، فضلا عن اتصافها بأن اللفظ المتكرر يخالف نظيره في المدلول الذي يؤديه، وهذه مزية رئيسة تميز الجناس من غيره من أنواع التكرار.

ومما ورد محققا هذا المطلب قوله تعالى:((الْحَمْدُ للَّه الَّذي عَلا بحَوْله، ودَنَا بطَوْله، مَانح كُلِّ غَنيمَة وفَضْل، وكَاشف كُلِّ عَظيمَة وأَزْل. أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطف كَرَمه، وسَوَابغ نعَمه، وأُومنُ به أَوَّلاً بَادياً، وأَسْتَهْديه قَريباً هَادياً وأَسْتَعينُهُ قَاهراً قَادراً))[٧].

فقد ورد الجناس في قول سبحانه وتعالى:(قاهرا قادرا)، وكلاهما جاء بصيغة اسم الفاعل، وقد اشتقا من فعلين مختلفين هما:قهر، وقدر،وهو عنصر مقوي للجناس.

وقال لما عزموا على بيعة عثمان(رض):((لَقَدْ عَلمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بهَا منْ غَيْري، ووَاللَّه لأسْلمَنَّ مَا سَلمَتْ أُمُورُ الْمُسْلمينَ، ولَمْ يَكُنْ فيهَا جَوْرٌ إلا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتمَاساً لأَجْرِ ذَلكَ وفَضْله، وزُهْداً فيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ منْ زُخْرُفه وزبْرجه.))[٨].

فالألفاظ:(أسلمّنّ)و(سلمت)،و(مسلمين) كلها مشتقة من أصل لغوي واحد هو:(سلم)، إلا أن المتكلم استطاع أن يقدم لنا صياغات متعددة بدلالات متباينة، وهنا تتجلى وظيفة الجناس في إحداث الأثر في المتلقي وجعله

يتوقف عند هذا الاستعمال، بحيث لا يمكن لهذا القارئ أن يهمل تلك العناصر من دون النظر في النص ومعانيه، وظلال المعاني التي أسبغها الجناس الاشتقاقي[٩]؛ذلك أن الجناس دعامة قوية تؤكد المعنى الذي يريد أن يثبته[١٠]. وهذا ما أراده الإمام عليه السلام في تأكيد المنفعة الجماعية على المنفعة الذاتية في النزول عن حقه الشخصي إذا رأى أن لا ضرر يترتب على الإسلام والمسلمين من ذلك النزول.

وقال تعالى:((أَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي، حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا. تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ ، تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ))[١١].

فالذي حصل في هذا الجناس هو اختلاف (الصويت) ،الكسرة في(المقوِّم)، والفتحة في(المقوَّم)، والأولى اسم فاعل، والأخرى اسم مفعول، وهذا الاختلاف حدد جهة الإسناد إليها، فكان العامل في اسم المفعول(أعضل)، وفي اسم الفاعل(عجز)، فاختلاف الصويت أدّى إلى اختلاف مجيء نوع المشتق، فمرة اسم فاعل، وأخرى اسم مفعول.

وقد ورد الجناس التام في قوله تعالى في ذم الدنيا:((مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ، أَوَّلُهَا عَنَاءٌ،وآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلالِهَا حِسَابٌ، وفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، ومَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، ومَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، ومَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ومَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ))[١٢].

فالجناس حصل في المقطعين الدلاليين :(أبصر بها)،و(أبصر إليها)،وذلك في تكرار اللفظتين، ولكن تأمل النص ينبئ عن أن البنية الموسيقية لم تتكون بهذا التكرار وحده، إذ إن استعمال حرف

المعاني:(الباء،وإلى) كان شريكا في هذا التكوين، فاختلاف الحرفين أدى إلى تنويع مرجعية المشار إليه، فمرجعية الأول تكمن في جواب الشرط:(بصرّته)، ومرجعية الآخر تكمن في:(أعمته)،فاختلاف الدلالة نتج بفعل استعمال حرفي المعاني:(بها وإليها)، ولو سقط هذان الحرفان لاختفت الموسيقا التي تكوّنت لتؤدي أثرا بالغ الأهمية في إنتاج الدلالة التجانسية، وذلك باستحضار حاسة التوقع عنده، وهو توقع يقتضي أن ينتج التماثل السطحي تماثلا عميقا، وهنا يخالف الناتج هذا التوقع، إذ يقود التماثل إلى التخالف، وبهذا تتكاثر المنبهات التعبيرية التي تؤكد شعرية الصياغة[١٣]، التي تهدف في ـ الأعم الأغلب ـ إلى إحداث تأثير رمزي عن طريق الربط السببي بين المعنى والتعبير، إذ يصبح الصوت مثيرا للدلالة[١٤].

ومن ذلك ما ظهر في قوله تعالى:((أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّه بِتَقْوَى اللَّه فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ وخَيْرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ اللَّه، وقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، ولا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ، إِلا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ والْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ))[١٥].

فاللفظتان (بصر)،و(صبر)، تتكونان من فونيمات صوتية متشابهة، وعلى الرغم من أنها اختلفت في مواقعها وتخالفت، إلا أن هذا التخالف لم يفقدها عنصر التشابه التكراري، وربما كان هذا التخالف هو الذي أدى إلى التلوين الموسيقي المنبعث، فضلا عن قيام المفردتين على صوت واحد في نهايتهما، إذ أسهم في تعضيد البنية الموسيقية المتولدة من الجناس المقلوب.

ومما يجدر ذكره أن التناوب في مخارج الأصوات بين (بصر)،و(صبر) أوجد انتظاما صوتيا مقدرا في إخراج النسق الصوتي الموسيقي المؤثر، فضلا عن القيمة الدلالية ،فالبصر يشير إلى النظر في الأشياء، والصبر يحمل معنى

التحمّل،وفي ذلك يحصل تدرج في الانتقال من الخارج إلى الداخل، ولعل هذا هو المعنى المقصود الذي تضمنه بإعادة مشروع معنى الملفوظ داخل النموذج التأويلي(١٦).

وقال تعالى :((وأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ والزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً ويَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً ويَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ويَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ ويَدِبُّونَ الضَّرَاءَ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ حَسَدَةُ الرَّخَاءِ ومُؤَكِّدُو الْبَلاءِ ومُقْنِطُو الرَّجَاءِ))(١٧).

جاء الجناس في قوله عليه السلام :(الضالون، المضلون)،و(الزالون،والمزلون)،وقد اختلفت بنية هذه الكلمات، على الرغم من أنها كلها اسم فاعل، لكن اختلاف بنية الفعل المشتق منها بين الثلاثي والرباعي أدى إلى حصول ذلك، وقد واكب هذا التغاير الصوتي حركة المعنى، فجاء معبّرا عنه خير تعبير، فخطورة المنافق على الإسلام جعلت الإمام عليه السلام يركز عليه تركيزا صوتيا جناسيا متكررا لافتا للتنبّه، إذ وصف فعله وخطورته، ثم أوصل ذلك الوصف بوصف شخصياتهم وصفا بارزا بسبب استعمال تقنية الجناس نفسها في قوله:(يتلونون ألوانا)، و(ويفتنّون افتنانا)،لتتصل هذه التقنية بتقنية الجناس السجعي في الفواصل وهي التي يتعاضد فيها عاملان بنائيان لتقوية الشكل، وكل هذه التقنيات الأسلوبية جاءت لكشف المعنى وبيانه، فضلا عن أن المعنى هو الذي يطلبها، وهذا ما أشار إلى أهميته الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله:((إنّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتمّ إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن،ولما وجد فيه معيب مستهجن))(١٨).

ومن ذلك قوله عليه السلام لّما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية:((قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ، فَعَلَ فعْلَ السَّادَةِ، وفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، ولا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، ولَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ))[١٩].

جاء الجناس في قوله عليه السلام:(فَعَلَ، وفِعْل)، و(فرَّ، وفِرار)، والأول يسمى الجناس المحرّف، إذ اختلفت اللفظتان في هيئات الحروف،والثاني يسمى الناقص، إذ اختلفت اللفظتان في أعداد الحروف،وقد أدّى هذا الجناس دلالة عبّرت عن شخصية مصقلة، ونبّهت ذهن السامع نحوه، ولاسيما أن الإمام صاغ هذا المعنى بنسق تقابلي بين :(فعل السادة × وفرار العبيد)، وقد منح هذا الاستعمال المعنى كشفا عنه وتوضيحا، فطرف التقابل الأول دلّ على القوة والشهامة، وهو فعل السادة، والطرف الآخر أدى الضد من ذلك[٢٠].

ويقول عليه السلام أيضا محذرا وواعظا:((إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ والْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ))[٢١].

ورد الجناس في:(قدّه، وخدّه)، وقد اتفقت هاتان اللفظتان في كلّ الأصوات ما عدا الصوت الأول، ونجد أنّ الصوت الأول من اللفظة الأولى جاء متقاربا في المخرج مع الصوت الأول من اللفظ الثاني:(القاف والخاء)، فالقاف مخرجه من أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى، والخاء مخرجه من أدنى الحلق، وكلاهما مفخمان[٢٢]. ولعل القرب في المخرج والتوحد في الصفة جعل الصوتين يشتركان في قيمة واحدة من حيث الأداء، فضلا عن ذلك فقد سبق هذا الجناس بجناس آخر بين:(الأرض، والعَرض)، والاختلاف حصل بين الهمزة والعين وهما متقاربان في المخرج أيضا، فالهمزة مخرجها من أقصى الحلق والعين من وسط الحلق[٢٣]، فضلا عن التشابه في الصفة ،

فالهمزة مرققة والعين بين الشديد والرخو[٢٤]، فكلّ هذه الخصائص جعلت الصفات المشتركة أكثر من المختلفة، فخلق ذلك بنية موسيقية مؤثرة موزعة بتقنية عالية من الأداء[٢٥] ؛ لأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر لكان للنفس تشوق إليه.

وقد ورد الجناس الداخلي في الرسائل في قوله عليه السلام من كتاب له إلى معاوية يقول فيه:((وأقسمُ باللَّه إنَّهُ لَوْ لا بَعْضُ الاسْتِبْقَاءِ، لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وتَنهِسُ اللَّحْمَ))[٢٦].

ورد الجناس الاشتقاقي في قوله عليه السلام :(قوارع)،و(تقرع)،وبهذا أصبح النص موحيا بالشدة والحزم والترهيب، وذلك عن طريق اجتماع صفات هذه الأصوات:(القاف العين والراء)،وتعاضد خصائصها،وذلك بسبب جهر العين وتفخيم القاف وتكرار الراء[٢٧].

وقد ورد الجناس بأنواع مختلفة في كتاب له عليه السلام لمعاوية أيضا يقول فيه عليه السلام :((فَيَا عَجَباً للدَّهْرِ، إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، ولَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لا أَعْرِفُهُ، ولا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ، والْحَمْدُ للَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ ولا إِلَى غَيْرِكَ، ولَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ ولا بَحْرٍ، ولا جَبَلٍ ولا سَهْلٍ، إِلا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ، وزَوْرٌ لا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ، والسَّلامُ لأَهْلِهِ))[٢٨].

جاء الجناس الاشتقاقي في قوله عليه السلام :(يدّعي مدّعٍ)،(دفع، دفعهم)، وورد الجناس الناقص في(بر)،و(بحر) ،وقد افتقدت اللفظة الأولى إلى صوت (الحاء)، ولكن هذا النقص لا أجد له تأثيرا كبيرا، مادام بين اللفظتين تشابه

صوتي كبير، ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى الصوت الناقص وقع وسط الكلمة، فضلا عن كونه من الأصوات الرخوة[٢٩]، وقد عوّض صوت الباء الانفجاري[٣٠]، وصوت الراء التكراري[٣١] النقص في الجناس، فمنح النص صفة التكرار، إثر التشابه الصوتي بين المفردتين، وبذلك تتسلط عملية الاختيار على لفظتين بينهما من التماثل أكثر مما بينهما من التخالف، وفي مثل ذلك يكون المنبه التعبيري أقوى تأثيرا نتيجة للهزة الدلالية التي يتلقاها المتلقي بمخالفة التوقع[٣٢]، ولاسيما أن البر والبحر من المتضادات.

وظهر الجناس الاشتقاقي في الصيغ الصرفية بين اسم الفاعل واسم المفعول في وصيته عليه السلام للحسن والحسين(عليهما السلام):((أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وأَلا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وإِنْ بَغَتْكُمَا ولا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا وقُولا بِالْحَقِّ واعْمَلا لِلأجْرِ وكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً...))[٣٣].

حصل الجناس الاشتقاقي بين:(ظالم)و(مظلوم)، وكلتاهما مشتق من أصل لغوي واحد هو الفعل:(ظلم)،وقد برز هذا الجناس لتوافقه مع أسلوب بديعي آخر، هو التقابل، فكان أكثر تأثيرا في المتلقي، لاتفاق عاملين بنائيين باتجاه واحد.

وقال عليه السلام من كتاب له إلى أهل البصرة:((ولَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لأوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلا كَلَعْقَةِ لاعِقٍ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ ولِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ ولا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ))[٣٤].

ورد الجناس في قوله عليه السلام:(لأوقعنّ، ووقعة)،و(لعقة، ولاعق)، وهو جناس اشتقاقي إذ اشتق الأول من الفعل(وقع)، والآخر من الفعل(لعق)، والغاية من هذا الاستعمال الجناسي هو زيادة حدة الجرس[٣٥]، مضيفاً إليها

من الأدوات المؤكدة من نون التوكيد الثقيلة ولام التوكيد.

وقال عليه السلام موصيا ابنه الحسن عليه السلام :((وأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ))(٣٦).

فقد جاء الجناس الناقص في قوله عليه السلام :(إلى ، وإلهك)، وقد اختلفت اللفظتان بوجود بعض الأصوات في اللفظة الثانية، وقد أدى هذا الاستعمال إلى تكوين بنية موسيقية أثر التشابه الصوتي، إذ لم يستطع النقص الموجود في اللفظة الأولى أن يحدث شيئا ذا بال، ذلك أن الهاء والكاف في اللفظة الثانية مهموستان(٣٧)، فيبدو أن الأصوات متشابهة الصفات استطاعت أن تغطي على النقص الحاصل وتمنح النص صفتها(٣٨)،فجاء ملبيا لحاجة النفس إلى الموسيقا المتباينة.

أما الجناس في الحكم، فيتحقق في الفاصلة بين القرائن فحسب، لقصر طول الحكم الذي لا يوفر المساحة الكافية لظهور الجناس الداخلي من غير تكلف.

ومن ذلك قوله عليه السلام :((رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ))(٣٩).

جاء الجناس في قوله عليه السلام :(قول)،و(صول)،وقد اختلفت الكلمتان في صوت القاف، ومخرجه لهوي، وصوت الصاد ومخرجه أسناني لثوي، لذا تباعدا في المخرج.

ونجد أنّ اللفظتين المتجانستين جاءتا في موقع الفاصلة، مما يجعلهما يؤديان وظيفتين في وقت واحد. وقد أدت تلك الدوال المتشابهة دلالات مختلفة، قلبت الفهم السائد في الأثر الناجم عن الأقوال والأفعال على نحو العكس.

ومن الجناس المضارع قوله عليه السلام :((مَنْ أَطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ))(٤٠).

نلحظ أن هناك تشابها كبيرا بين بنائية هذه الحكمة، والحكمة السابقة من حيث مجيء الجناس وموقعه موقع الفاصلة في السجعة، إلا أن الجناس بين:(الأمل)و(العمل) مختلف؛ لأن الأصوات المختلفة متقاربة في المخارج، فالهمزة مخرجها حنجري والعين مخرجها حلقي[٤١]، ونجد أن هذا التقارب زاد من التكرارية التي قد يقلل منها التباعد في المخرج.

وقد ورد الجناس الناقص في قوله عليه السلام :((إِنَّ كَلامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً وإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً))[٤٢].

نلحظ أن الجناس الايقاعي ورد في الفواصل الآتية:(الحكماء، ودواء، وداء)، وقد ورد النقص بتدرج في صوت واحد، إذ كان عدد أصوات لفظة (الحكماء)خمسة أصوات، في حين نقصت أصوات كلمة(دواء) صوتا واحدا، ونقصت أصوات لفظة(داء) إلى ثلاثة أصوات.

ومن الجناس المحرّف قوله عليه السلام :((صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ))[٤٣].

نلحظ أن بين لفظة(الجسد)و(الحسد) تماثلا في رسم الحرف وتباينا في وضع النقط، ونلحظ أن اختلاف الصوتين المترتب على وجود النقط وعدمها لم يؤثرا في قيام مفردتين على نسق من التكرار، فالبنى الصوتية الموحدة أكثر من المختلفة، والتشابه في هذه النسب حدد جهة النغم والموسيقا.

ومن الجناس المقلوب ما ورد في قوله عليه السلام:((الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ والْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وإِلا ارْتَحَلَ عَنْهُ))[٤٤].

ركّز الإمام عليه السلام في هذه الحكمة القصيرة على اللفظتين :(علم)،و(عمل) من خلال معاودتهما مرتين على التوالي من دون أن نشعر بالرتابة، لورودها ضمن أساليب بلاغية مختلفة منها ما هو خبري وما هو إنشائي، فضلا عن أن المتكلم حاول أن ينوّع في مواقع الألفاظ المتجانسة على

وفق نظام متناوب من بداية النص حتى منتهاه.

وقـد ورد الجنـاس المقلـوب في حكمـة وردت في كتـاب لـه لسـلمان الفارسي (رض) قبل أيام خلافته، يقول فيه عليه السلام:((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ....))[٤٥].

فلفظة(مسّها) هي مقلوب لفظة(سمّها)، وبين اللفظتين فارق دلالي كبير يصل إلى مستوى التضاد، إذ إن ما توحي به لفظة (مسّها) يخالف ما أعطاه الجناس من دلالة تناقضية وذلك من اختيار لفظي دقيق حقق له هذا الغرض في وصف الحيّة، بأسلوب رمزي يراد منه انتقال الذهن من وصف هذا الحيوان الجميل الفاتك، إلى وصف الدنيا.

وقد يأتي الجناس ضمن بنية تقابل من ذلك قوله عليه السلام في حكمة له:((لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ))[٤٦].وقوله عليه السلام أيضا :((مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ))[٤٧].

واستعمل الإمام الجناس الاشتقاقي في الحشو ضمن بنية التضاد ليتعاضد مكونان أسلوبيان يعملان باتجاه واحد، ليولد شكلا قويا يحقق أثرا كبيرا في النفس،وذلك ما يظهر في بنية الجناس المتقابلة بين:(المخلوق والخالق)، و(من صارع) أي فاعلَ، وهو فعل مشاركة الفاعل لفاعل آخر، ثم يصبح الفاعل مفعولا، في الفعل:(صرعه)، فهو مصروع. أي التحول من الفاعل إلى ضده المفعول،وبهذا يتحقق الأثر في المتلقي بحسب تعاضد إيقاعين: إيقاع التشابه والتقابل ،بحسب ما ورد في قول القرطاجني:((لأنّ تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد...وكذلك أيضا مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح

إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليا عن الآخر لتبيّن حال الضد بالمثول إزاء ضده))[٤٨].

وخلاصة القول: إنّ أغلب الجناس يرد في موقع الفاصلة في الحكم، وهذا يدل على أنّ وظيفتها تتضاعف لتقوية المؤثر الصوتي، وتحاول أن تجعل منها قطعة موسيقية مركزة تثبت في الذهن والذاكرة لمجرد سماعها، ولاسيما أنها صيغت ضمن الإيقاع السجعي، وبذلك تتعاضد الأواصر الترابطية فيما بينها، لكي ترتفع عناصر شكل الحكمة وتكون بارزة تحقق عنصر الأمامية بحسب اصطلاح جان ماركوفسكي"Jean Macarovisky"[٤٩]، وتصبح صياغتها نهائية ذات مضامين مكثفة.

الملخص

خلص البحث إلى جملة من النتائج لعل أهمها ما يأتي:

١ـ تجلت الوظيفة الدلالية للجناس في نهج البلاغة بإيجاد نوع من الربط يقوم في حقيقته على مبدأ التشابه والتماثل، حين تلحق بعض المتماثلات أو المتشابهات من الأشياء ببعض، وذلك يسهم إسهاما كبيرا في دلالة النص وإثارة ذهن المتلقي بما يمتلك من ذائقة جمالية وخبرة لغوية للوقوف بإزائها وكشف دلالاتها.

٢ـ تحققت الوظيفة الجمالية للجناس في نهج البلاغة بإيجاد بنية موسيقية مؤثرة تتصل بالصياغة الأدبية في مستوياتها المختلفة، وذلك بمعاودة البنية والتركيز عليها على نحو يحقق تناسبا بين الأجزاء، وهذا التناسب هو المبدأ الأساس.

لتحقيق جمال النص Homonymy in Nahjul Balagha

A Study of its Aesthetic and Semantic Functions

Abstract

This research discusses a stylistic and rhetorical theme which is called "Homonymy" for its importance in forming the form of the literary text and revealing its implicit meaning emerging from Homonymic structures it achieves as well as revealing its aesthetic and semantic functions.

The researcher has reached through his work the following results:

1- The semantic function of Homonymy in Nahjul Balagha is defined through finding a kind of connection based on the resemblance and identical form which participates a great deal in giving the meaning of the text and arousing the mind of the receiver with all what he has of aesthetic taste and linguistic experience that helps in figuring out the real deep meaning.
2- The aesthetic function of Homonymy is achieved in Nahjul Balagha through finding a touching Homonymic structure related to the literary form on all levels through repeating the sound structure and concentrating on it in a way that gives a coordinated view of all its parts which is the base for achieving the aesthetic aspect of the text.

هوامش البحث

١. ظ: مفتاح العلوم:٤٢٩، الإيضاح في علوم البلاغة:٢٢٨، الطراز المتضمن لعلوم البلاغة:٣٧٢.
٢. ظ:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:٨٣/١، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي:٢٨٤.
٣. ظ: بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي:٦٥، بلاغة الخطاب وعلم النص:٢١١.
٤. ظ: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم:١٤٦.
٥. الصويت هو:((أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني)). ظ: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه:١١٢.

٦. أقسام الجناس: التام: وهو أن تتفق اللفظتان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها. والجناس الناقص: وهو أن تختلف اللفظتان في أعداد الحروف بزيادة أو نقصان. والجناس اللاحق: وهو أن تختلف اللفظتان بحرف واحد، ويكون هذان الحرفان غير متقاربين في المخرج. والجناس المضارع: وهو أن يختلف اللفظان بحرف واحد، ويكون هذان الحرفان متقاربين في المخرج. والجناس المقلوب: وهو أن يختلف اللفظان في ترتيب الحروف. والجناس الاشتقاقي: وهو أن يجمع اللفظين الاشتقاق. والجناس المحرّف: وهو أن يختلف اللفظان في هيئات الحروف. والجناس المصحّف: وهو أن يكون النقط فيه فارقا بين اللفظين. ظ: الإيضاح في علوم البلاغة:٢٨٨-٢٩٣، بديع القرآن:٢٩.

٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٤١/٦.

٨. م.ن:١٦٦/٦.

٩. ظ: معايير تحليل الأسلوب:٢١.

١٠. ظ: المعنى، وظلال المعنى:٢٢٠.

١١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٧٠/٧.

١٢. م.ن:٢٣٨/٦.

١٣. ظ: البلاغة العربية قراءة أخرى:٢٧٣.

١٤. ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص:٢١٠.

١٥. شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد:٣٣٠/٩

١٦. ظ:الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو:١٢٧.

١٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٦٣/١٠.

١٨. أسرار البلاغة:١٦.

١٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١١٩/٣، والتبكيت كالتقريع والتعنيف.

٢٠. ظ: المثل في نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة:١٥٤.

٢١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٢٧٥/٦.

٢٢. ظ: اللغة العربية معناها ومبناها:٥٩.

٢٣. ظ: الأصوات اللغوية:٩٤.

٢٤. ظ:م.ن:٨٦.
٢٥. ظ: الإتقان في علوم القرآن:٢٤٤/٢، فن الجناس:٢٩-٣٠.
٢٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦٢/١٨.
٢٧. ظ: اللغة العربية معناها ومبناها:٧٩.
٢٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٤٧/١٤-٤٨.
٢٩. ظ: المدخل إلى علم الأصوات العربية:١١٤.
٣٠. ظ: م.ن:١١٢.
٣١. ظ: فقه اللغة:٥٢.
٣٢. ظ: البلاغة العربية قراءة أخرى:٣٧٣-٣٧٤.
٣٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٥/١٧.
٣٤. م.ن:٣٩٠/١٩.
٣٥. ظ: رسائل نهج البلاغة، دراسة لغوية، رسالة ماجستير غير منشورة:٨٧.
٣٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٦٤/١٦.
٣٧. ظ: اللغة العربية معناها ومبناها:٥٩.
٣٨. ظ: البديع تأصيل وتجديد:٨٢.
٣٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣٥٩/١٩.
٤٠. م.ن:١٥٥/١٨.
٤١. ظ:اللغة العربية معناها ومبناها:٧٩.
٤٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٥٣/١٩.
٤٣. م.ن:٩٧/١٩.
٤٤. م.ن:٢٨٤/١٩.
٤٥. شرح نهج لبلاغة، ابن أبي الحديد:٣٤/١٨.
٤٦. م.ن:٣٤٧/٢٠.
٤٧. م.ن:٣٩٨/٢٠.
٤٨. منهاج البلغاء وسراج الأدباء:٤٤-٤٥.

٤٩. رأى جان ماركوفسكي، أن ظهور الشكل وتراجع المضمون عن أن يكون محددا بدقة ،يؤدي إلى ظهور ما أسماه بمصطلح(الأمامية) التي تميز اللغة الفنية مقابل لغة العلم، التي تحكمها الآلية، ولذلك يكون التعبير الجديد في السياق العلمي، أماميا بسبب جدته، لكنه سرعان ما يصبح آليا،لأنه يحدد معناه بدقة. ظ: اللغة الشعرية واللغة المعيارية، بحث:٤٢.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٢. أسرار البلاغة في علم البيان، الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٣. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧١م.

٤. بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف،مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر،ط١، (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).

٥. البديع تأصيل وتجديد،د.منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٦م.

٦. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت،(١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٧. البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م.

٨. بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩. جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان، ط١، ١٩٩٥م.
١٠. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال ،الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م.
١١. رسائل الإمام علي في نهج البلاغة، دراسة لغوية، رملة خضير مظلوم البديري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ـ جامعة الكوفة، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
١٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).
١٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت٧٤٥هـ)،مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
١٤. الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي يحي بعيطش، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن، ط١، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
١٥. فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمات العربية لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، ط٢، ١٩٦٤م.
١٦. فن الجناس، د. علي الجندي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥٤م.
١٧. اللغة الشعرية واللغة المعيارية، جان ماكاروفسكي،ترجمة ألفت كمال الروبي،في فصول (مجلة)،المجلد(٥)،العدد(١)، ١٩٨٤م.
١٨. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ط٤(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
١٩. المثل في نهج البلاغة، دراسة تحليلية فنية، عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب ـ جامعة الكوفة، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٢٠. المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢١. معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة وتقديم وتعليقات د. حميد لحمداني، ط١، ١٩٩٣م.
٢٢. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د.محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ردمك، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٣. مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٢٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء،لأبي الحسن حازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط٤، ٢٠٠٧م.
٢٥. المنهج الوصفي في كتاب سيبويه،د. نوزاد حسن أحمد، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠٠٧م.